قِصَّةُ آيَةٍ

38

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَفِنْحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ وَقِصَّةٌ طَرِيفَةٌ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى





قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٨١ ، ١٨٢]

كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصديق يَجْلِسُ مع أَصْحَابِه يُحَدِّثُهُمْ عن الإِسْلامِ وعَظَمَتِه وسُمُوِّ مَبَادِئه ، وتَطَرَّقَ الْحديثُ إلى الْيَهُودِ وَمَا يُشِيعُونَهُ فِي الْمُجْتَمَعِ من فَسَادٍ وفِتَنٍ فَقَالَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ :

ـ هَؤُلاءِ الْيَهُودُ هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَهُمْ

يُبْغِضُونَ الإِسْلامَ وَيَظْهَرُ ذَلِكَ عَلَى

أَلْسِنَتِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ .

وَقَالَ آخَرُ :

ـ لا أَعْرِفُ إِلَى مَتَى نَسْكُتُ عَنْهُمْ ؟

يَجِبُ أَنْ نُوقِفَهُمْ عِنْدَ حُدُودِهِمْ

فَلا يَتَجَاوَزُوهَا .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ :

ـ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَهْدًا ،

وَالْمُسْلِمُ وَفِيٌّ لِعَهْدِهِ مَهْمَا كَانَتِ الأَحْوَالُ .

فَسَأَلَ الْحَاضِرُونَ أَبَا بَكْرٍ قَائِلِينَ :

ـ فَمَا الْحِيلَةُ مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَكَيْفَ نَصُدُّهُمْ عَنْ ضَلَالِهِمْ وَفَسَادِهِمْ ؟

فَأَجَابَ أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ :

ـ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، أَرَى أَنْ نَدْعُوَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَقِّ وَأَلَّا نَيْئَسَ مِنْ دَعْوَتِهِمْ وَأَنْ نُجَادِلَهُمْ وَنُبَيِّنَ لَهُمْ فَسَادَ اعْتِقَادِهِمْ وَبِذَلِكَ نَكُونُ قَدْ أَدَّيْنَا وَاجِبَنَا نَحْوَ دِينِنَا .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَأَكُّدِ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ مِنْ عَدَمِ جَدْوَى ذَلِكَ مَعَ الْيَهُودِ فَقَدْ قَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ :

ـ اذْهَبْ إِلَيْهِمْ وَجَادِلْهُمْ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّعَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْهُمْ أَيُّ شَيْءٍ !

مَضَى أَبوبكْرٍ الصِّدِّيقُ فى طَرِيقه حتى ذَهَبَ إِلى بيْتِ أحدِ الْيهودِ ، وكانَ الْيهودُ مجْتمعِين فى بيْتِ فنحاص بنِ عازوراء أَحدِ علمائهم الْمعْروفين ، يدرسونَ التَّوراةَ ويفسِّرونها .

واستأْذَنَ أَبوبكْرٍ الصِّديقُ علَيهِمْ فأَذِنوا لهُ بالدُّخولِ وسأَلوهُ فى لَهْفَةٍ :

ـ ما الذى جاءَ بكَ يا أَبابكْرٍ ؟

فَقالَ أَبُوبكرٍ :

ـ جِئْتُ أَدْعوكُمْ إِلى الإِسْلامِ دينِ الْحقِّ والْعَدْلِ ، فإِنْ أَسْلَمْتمْ سَعِدتُمْ فى الدُّنْيا والآخرةِ ، وإِنْ أَبيْتمْ إِلا الْكُفْرَ والشِّرْكَ فقدْخَسِرتُمُ الدَّارينِ .

فَتعجَّبَ فنحاص بنُ عَازُوراء منْ حديث

أَبى بكرٍ وقالَ :

ـ نحْنُ أَهلُ كتابٍ ونؤمنُ باللَّه فلا يجوزُ

أَنْ تَتَّهمنا بالْكُفرِ والشِّرْك يا أَبا بكْرٍ ؟

فقالَ أَبو بكْرٍ :

ـ اتَّقِ اللَّهَ وأَسْلِمْ ، فَواللَّهِ إنكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ

مُحمَّدًا ﷺ هو رَسُولُ اللَّه ، قدْ جَاءكُمْ

بالْحَقِّ من عنْد اللَّه ، تَجِدُونَهُ مكْتُوبًا

عنْدكُمْ فى التَّوْراة فآمنْ وصَدِّقْ !

وأَضافَ أبوبكْرٍ فى صدْقٍ :

ـ يا فنْحَاص آمنْ باللَّه ، وأَقْرِضِ اللَّهَ قرْضًا

حَسَنًا يُدْخلْكَ الْجَنَّةَ ويُضاعفْ لكَ الثَّوابَ.

وَلَمْ يَكَدْ فِنْحاصُ يَسْمَعُ كَلامَ أبى بَكْرٍ

حتى انْفَجَرَ بالضَّحِكِ وقالَ :

ـ يا أَبا بَكْرٍ ، تزْعُمُ أَنَّ رَبَّنا يَسْتَقْرِضُنا

أَمْوالَنَا ، وما يَسْتَقْرِضُ إلا الْفَقِيرُ مِن

الْغَنِىِّ .

وأَضافَ فِنْحاصُ قائِلاً :

ـ إِنْ كانَ ما تَقولُهُ حقًّا فإِنَّ اللَّهَ إذَنْ فقيرٌ

ونَحْنُ أَغْنِياءُ ، ولو كَانَ غنِيًّا ما اقْتَرضَ مِنَّا

أمْوالَنا .

وضَجَّ الْيهودُ بالضَّحِكِ وقالوا :

ـ صَدَقْتَ يا فِنْحاصُ ، إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِياءُ .

وامْتَقَعَ وجْهُ أَبِي بَكْرٍ وبَدَا الْغَضَبُ على وجْهِهِ ولَمْ يتمالَكْ نَفْسَهُ عِنْدما سَمِعَ كلامَ الْيَهُودِ عَنِ اللَّهِ (عَزَّ وجَلَّ)، فَهَوى بِيَدِه بِقُوَّةٍ على وجْهِ فنحاص فأَصَابَهُ إِصَابَةً بالِغَةً وقالَ فِي غَضَبٍ:

ـ والذى نَفْسِى بِيَدِهِ لولا الْعَهْدُ الذى بَيْنَنَا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ يا عَدُوَّ اللَّه.

فقالَ فنحاصُ في غَيْظٍ:

ـ واللَّه لأَشْكُوَنَّكَ إِلَى صاحبك.

وأَسْرَعَ فِنْحاصُ إِلَى النبيِّ ﷺ والدَّمُ يَسيلُ مِنْ وجْهِهِ وقالَ وهو يَبْكى:

ـ يا مُحَمدُ انْظُرْ إِلَى ما صَنَعَ بى أَبو بَكْرٍ؟

فسأل الرسول ﷺ أبابكر :

ـ ما الذى حملك على ما صنعت ؟

فقال أبوبكر الصديق :

ـ يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فغضبت لله وضربت وجهه .

فقال فنحاص :

ـ لم يحدث هذا يا محمد ، إنما دخل على بيتى وضربنى دون سبب واضح .

ثم نظر فنحاص إلى من كان معه من اليهود وقال :

ـ أليس كذلك ؟

فقالوا جميعًا :

ـ بَلَى ، لقد ضَرَبَ صاحبُكَ أَبو بكرٍ فنْحاصَ دونَ سببٍ برغمِ أَنه استقبله في بيته استقبالاً حسنًا ، ثم اختلقَ هذا السَّبَبَ ليُبرر ضربهُ وإيذاءهُ لفنْحاص .

واشتدَّ الأَمر على أبى بكرٍ الصديِّق ، وساءهُ ادِّعاءُ اليهود عليه وكذبهم بين يدَىْ رسول اللَّه ﷺ ، وهمَّ أبوبكر بالدِّفاع عن نفسه ، لكنَّ الرَّسول ﷺ أَشارَ عليه بالسُّكوت ، لأَنَّهُ كانَ يوقنُ في قرارةِ نفسه بصدقه ، وأَنَّ اللَّهَ سوف يُظْهِرُ براءَتَهُ .

وحَدَثَ ما كَانَ يَرْجُوهُ الرسولُ ﷺ ،

فأنْزَلَ اللَّهُ (تعالى) تكْذيبًا لفنحَاص

والْيهودِ وتصْديقًا لأَبى بكْرٍ .

قالَ (تعالى) :

﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٧٢ ، ١٧٤]

إنَّ الْيهودَ فى هذه الآيةِ الْكَريمة

يواصلونَ مَزاعمَهُمْ وافْتراءَهُمْ على اللَّه

ورُسُلِه ، ويحارِبونَ اللَّهَ بكُلِّ وَسيلَة .

وهم لَمْ يفْهَمُوا الْمقصُودَ بقولِه (تعالى) :

«مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» ،
فَظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ (تعالَى) يَحْتَاجُ إِلَى الْقَرْضِ ،
ولَوْ فَطِنُوا وتدبَّروا الأَمْرَ لعَلِمُوا أنَّ
الْمَقْصودَ بذلكَ هو أَنْ يُنْفِقَ الإِنسانُ من
مالِه فى وُجوهِ الْخيرِ الْمُخْتلِفَة ، كأَنْ
يُنْفِقَ علَى الْفُقراءِ والْمُحتاجين ، وأَنْ
يَتَصَدَّقَ على الْمَسَاكينِ . فاللَّهُ (تعالَى)
هو الْغَنىُّ ونحنُ الْفُقَراءُ .

وعِنْدمَا نَتَدَبَّرُ فى فَهْمِ الصَّحابةِ
لِلْمَقْصُودِ بالْقَرْضِ للَّهِ (تعالَى) ونُقَارِنُهُ
بفَهْمِ الْيهودِ السَّطْحىِّ والسَّاذَجِ ، يتَّضِحُ
لنا الْفَارِقُ الشَّاسِعُ بينَ الْفريقَيْنِ .

فعِندَما نزَلَ قوْلُهُ (تعالَى) :

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢٤٥]

سَخِرَ الْيهودُ وقالوا : إِنَّ اللَّهَ فقِيرٌ ونحْنُ أَغْنِياءُ .

بيْنمَا ذهبَ أَحَدُ الصَّحابَةِ إِلى الرسولِ ﷺ واسْمُهُ أَبُو الدَّحْداحِ وقالَ لهُ :

ـ يا رَسولَ اللَّهِ ، أَوَ إِنَّ اللَّهَ (تعالَى) يُريدُ منَّا الْقَرْضَ ؟

قالَ لهُ الرسولُ ﷺ :

نعَمْ يا أَبا الدَّحْداحِ ، يُريدُ أَنْ يُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ بهِ .

فَأَمْسَكَ أبو الدَّحْداحِ بيَدِ الرَّسُولِ ﷺ

وقالَ :

ـ فإِنِّى أَقْرَضْتُ اللَّهَ بستانًا فيهِ ستمِائَةِ نخْلَةٍ .

فقالَ لهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ إِذَنْ يجزيكَ اللَّهُ به الْجَنَّةَ !

كما تَسَابَقَ الصَّحابَةُ للإِنْفاقِ والْبَذْلِ فى سَبيلِ اللّهِ وهمْ علَى يَقينٍ أَنَّ اللَّهَ (تعالَى) لا يَحْتَاجُ منْهُمْ شَيْئًا فهوَ الْغَنىُّ عنْ خَلْقِهِ ، ولكنَّهُ يريدُ أَنْ تسودَ روحُ الْحُبِّ والْمَودَّةِ والتَّعاطُفِ بيْنَ الْمُسْلِمينَ فَيَتَصَدَّقُ الْغَنىُّ على الْفَقيرِ

وَيُسَاعِدُ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ وَيُعِينُ الْقَادِرُ الْمُحْتَاجَ . وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) يَجْزِيهِمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَثَوَابُ الْقَرْضِ عَظِيمٌ ، لأَنَّ فِيهِ تَوْسِعَةً عَلَى الْمُسْلِمِ وَتَفْرِيجًا عَنْهُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا : الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ . فَسَأَلَ الرَّسُولُ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ ؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

لأَنَّ السَّائِلَ يسأَلُ وعِنْدَهُ - أَىْ بعْض الْمال - والْمُسْتَقْرِضُ لا يَسْتَقْرِضُ إلاَّ مِنْ حاجَةٍ » .

[رواه ابنُ ماجه]

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بكَ شَيْئاً نعْلَمُهُ ، ونستغْفِرُكَ لما لا نعْلَمُهُ ، تباركْتَ ربَّنا وتعاليْتَ ، لكَ الْكِبْرياءُ والْمَجْدُ إنكَ على كلِّ شئٍ قَديرٌ !

رقم الإيداع : ١٧٣٦٩ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : ٣ - ٨١٧ - ٢٦٦ - ٩٧٧